

(تذكر أن) مختارات تفسير جزء تبارك الدرس الثاني

- سورة الملك من أسباب تسميتها بـ"سورة الملك" يرجع إلى أن فيها ما يقتضيه الملك من تدبير الأمور، وتوزيع الأرزاق، وحسن التصرف، والعدل في الناس، وهذه كلها من مقتضيات الملك، والله تعالى هو الملك الحق، ومملكه كامل لا نقص فيه.
- في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]. فهم سمعوا لكن يسمعون سماع الإجابة، ولم يعملوا عقولهم فيما ينفعهم؛ لأن الهوى حكّمهم، ولهذا أعطى الله الإنسان العقل ليميّز به، ويعقله عمّا لا ينبغي، وسُي كما قيل: "الحجر" لأنه يحجر صاحبه، فإذا ما وظّف الإنسان عقله فيما ينفعه، وفكر فيما ينفعه؛ أصبح العقل وبالأعلى عليه.
- ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١]. يعلمون علم اليقين أنهم هم الذين أضلّوا أنفسهم، ولو ما اعترفوا فقرائن الحال والمقال تدلّ على أفعالهم، لكنهم لما غلّقت عليهم الأبواب، وقامت عليهم الحجّة، واستبانَت المحجّة، لم يكن لهم العذر ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.
- ثم قال ربنا -عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢]. ذكّر أولئك المعرضين، وذكر مآلهم وما صاروا إليه من العذاب المقيم بعدل من الله؛ لأن الله تعالى يُعطي من يشاء بفضله، ويُعذب ويمنع من يشاء بعدله، ولا يظلم ربك أحداً.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾. والخشية نوع من أنواع العبادة؛ لأن من أشمل وأجمع تعاريف العبادة ما ذكره شيخ الإسلام: اسم جامع لكل ما يحبه الله من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.
- فالعلمُ الخشية، ولهذا قال هنا: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ في الشهادة -أمام الناس- قد يمتنع الإنسان عن فعل المعصية من أجل الناس، قد يدفعه إلى فعل الطاعة ثناء الناس، قد يدفعه إلى فعل القربى أمر يرجو حصوله، أو يتمنى دفعه عنه. هذا في الشهادة.
- ولهذا قال: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾، ذكر المغفرة والأجر: غفران الذنوب وتحصيل الأجور ﴿أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾، ليس العبرة بكثرة التعبد، كما أخذنا في أول السورة: ليلبوكم أيكم أكثر عملاً؟! لا، قال: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].
- ثم قال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣]. قدّم الإسرار لأنه هو الغاية في الغيب عن الناس، لكن لا يخفى على الله شيء، سواء أسررت فالسر عند عِلانية، ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ قد يخفى العمل عن الناس، لكن إذا ظهر عرفوه، فإذا كان العامل مختفياً غائباً عن أعينهم، فلن يسمعون كلامه ولن يعلموا مراده.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فيه أن الإنسان دائماً يتفقد داخله، يتفقد نيته، يتفقد مراده، فقد يُظهر الإنسان العمل فيكون إظهاره للعمل من أجل مدح النَّاس، وقد يقول القول ويفعل المعروف من أجل مدح النَّاس، فالله تعالى يعلم خفايا النفوس، وما تخفي الصدور.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

كيف يخفى على الله سرهم وأمورهم وهو الذي خلقهم، ودبر أمرهم! فهذا حجة لإبطال ما يزعمون.

﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾

قالوا من معاني اسم الله اللطيف: أن يُرى لعبده من الخير ويسوقه إلى طرق الخير من حيث لا يحتسب، وقد يبتليه بأمور مكروهة من لطفه تعالى مآلها إلى خير.

﴿الْخَبِيرُ﴾: أي: الخبير بأحوالكم وأموركم وجميع شؤونكم.

قال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥].

ذلولاً: مذلة، يُقال هذا بغير مُذل، طريق مُذل، أي: مُعبَّد، فذلولاً أي: مذلة لكم، منبسطة للزرع وللمشي، ثابتة بالجبال، كل هذا -بإذن الله تعالى-

﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾، مناكب الرجل أي: أطرافه، وقيل: مناكب الأرض يعني أطراف الأرض.

ثم قال: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ فعل الأسباب، وهذا من رحمة الله، ذلل الأرض، وسهل المشي في مناكبها؛ لأن ذلك من أسباب الرزق.

قال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

أي: إليه المرجع والمآل، فكل هذه أسباب، فمن حكمة الله أن ذلل الأرض، لتمشوا فيها، تسترزقوا فيها، تتكسبوا فيها، ثم مآلكم ومصيركم ومردكم إلى الله تعالى.

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ﴾

من رحمة الله تذليل الأرض، ومن رحمة الله تيسير المشي في مناكب الأرض، ومن رحمة الله تسهيل الأسباب.

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ إيمان بالقلب، وتصديق باللسان، عمل القلب والجوارح.

قال تعالى: ﴿أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾، آمنا بالله، وتوكلنا عليه، وفوضنا أمورنا إليه، مع فعل الأسباب.

قال تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ يا من ترك هذه الأمور ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، نحن أو من آمن واستقام وتوكل، أو من أعرض ولم يسمع، ولم يعقل، سمع سمع مجرد، أي: سمع الأصوات والحروف، لكن ما سمع سمع المرید للإجابة والطاعة.

ثم قال تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾.

لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، إذا مارت الأرض، واضطربت حركتها؛ وتعطلت منافعها التي ذكرها الله في حال تذليلها وانبساطها، لهذا ترون إذا وقع زلزال لثوانٍ معدودة؛ ما الذي يحصل من المهالك، ويحصل من الضرر والخوف؟

قال تعالى: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾.

"الحاصب": الرَّمْل فيه حصباء حارة، الريح إذا هبت وزادت سرعتها تضر، وقد عاقب الله قومًا بالريح، فتخيَّل أنَّ معها حاصب من الرمل الحار، ماذا يكون؟ يشتد العذاب،

ثم ذكر الآية: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاقٍ﴾. طير صافات: أي: بسط الأجنحة.

﴿وَيَقْبِضْنَ﴾: بضم الأجنحة.

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ الطير ليس من السهولة إمساكه، الصيد شئ آخر، لكن صيده باليد من الصعوبة بمكان.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاقٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ كل هذا الذكر-ذكر الآيات، وذكر الحاصب، وذكر مَور الأرض- كلها من باب أن يعلم هؤلاء أنَّهم في عدم سماعهم لما قُرأ عليهم، وعدم عقلمهم لما طُلب منهم، أنَّ هذا كله محادة لله تعالى، وهذه صفات من حادَّ الله أو عاند الله.

ثم قال: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ﴾

مهما كانت الجنود في كثرتها، وعتادها، وعدتها، فلن تُغني عنكم من الله شيئًا.

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ ماذا تفعلون؟ لو شاء الله لقال لهم: كونوا ترابًا، كونوا هباءً.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ الغرور إذا أصاب الشخص أعماه عن الحق، وقد يعرف أنه حق، لكن الكبر، ولهذا جاء في الحديث: «العزُّ إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني إزاري وردائي قصمته»^١.

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾

فلو أنَّ الله تعالى أَمْسَكَ رِزْقَهُ، فَمَنَعَ السماء من المطر، وَمَنَعَ الأرض من الإنبات، ماذا يكون حال النَّاس؟

قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

قال بعضهم: من يمشي مُكِبًّا هو: "أبو جهل"، وَمَن يَمْشِي سَوِيًّا هو: "الرسول صلى الله عليه وسلم" ولكن الصحيح أنَّها عامَّة،

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾

هو الذي ذَرَأَكُمْ، بدأكم، أوجدكم من العدم، ﴿أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾.

هذه وسائل: العقل ليفهم مُراد الله تعالى، والسمع، والبصر ليرى، وَمَن حُرِّمَ هذه الأمور من توظيفها في طاعة الله، فبعض النَّاس يسمع لكنَّه أبكم، وبعض النَّاس أبكم لكنَّه يسمع، فالذي يسمع كلام الله ولا يُطيع الله، فهذا الأَبْكُم وَمَن يُطيع الله فهو خير منه.

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

النَّاس أجناس، فيهم الأبيض والأسود، الفقير والغني، السليم والمريض -وهلم جرا في أرض الله- ولا تفاضل إلا بالتقوى، ومردُّ الجميع -المسلم والكافر- إلى الله تعالى، ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ استفهام ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

^١ صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٩٨) ولفظه "العزُّ إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني شيئًا مِنْهُمَا عَذَّبُهُ".

يعني متى يأتي هذا الوعد؟! هذا أمرٌ غيبٍ، ولهذا الوعد إمّا أن يكون عذابًا في الدنيا، أو في الآخرة يوم الحشر، يحتمل هذا وهذا.

➤ هنا قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ نستفيد أنّ الإنسان لا يتكلم إلا بعلم، فإذا كان عنده علم تكلم، وإذا لم يكن يعلم قال: لا أعلم. أمّا الأمور الغيبية فأمرها إلى الله، ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ هذا الرسول صلى الله عليه وسلم. ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ وظيفتي أنذركم وأبين لكم، أمّا متى يكون ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ غيب.

➤ الغيب أنواع:

❖ النوع الأول: غيبٌ استأثر الله تعالى به بعض خلقه، فأطلعهم عليه،

❖ النوع الثاني: غيب يُدرك، جعل الله له أسبابًا يُدرك به،

هناك غيبٌ تخرّص وضلال، كالدعوى والكهنة والسحرة، وقراء الفنجان، وقراء الكفّ، هؤلاء دجالون كذابون أفاكون.

➤ قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا﴾،

هنا يخاطب الكفار، سواءً أهلكنا الله أو رحّمنا، لكن أنتم من يُنجيكم من عذاب الله؟!

➤ قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُجِبُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ التقدير: لا يُجيرهم أحد.

➤ قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ نحنُ أطعنا ربنا، وآمنا به، وتوكلنا عليه، وقد وعدنا وثبّتنا، ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ عندما تظهر الأمور، وتنكشف الحقائق.

➤ قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾

➤ أي: بعيدًا غائرًا، ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾، ذكر في تفسير الجلالين عند هذه الآية أنها قرأت عند أحد المتكبرين، فقال: تأتي به الفئوس والمعاول؛ فأذهب الله ماء عينه وأغار ماء بئرهِ.

وصلّى الله على نبيّنا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

